مجلة الاستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn : 2773-3947
المجلد: 03 / العدد: 03 ص 07– 21

نظرية العوالم الثلاث عند مالك بن نبي كمشروع بديل للنهوض الحضاري

Malik Ben Nabi's Three Worlds Theory as an alternative project for civilizational advancement

عطار إكرام[1]

[1] جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)، ikram-attar@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/08 تاريخ القبول: 202/09/20 تاريخ النشر: 202/09/26

ملخص:

عاش الفكر الإسلامي في القرن الأخير الكثير من الأزمات و المشاكل نتج عنها سقوط وانهيار ، حضاري للأمة الإسلامية، ودخل المسلم في حالة من الفوضى بين عقيدة وشريعة سماوية، ومجتمع مادي، فظهر على إثرها تيارات فكرية مختلفة التوجهات لتقديم حل لهذه الأزمة، ومالك بن نبي من أبرز المفكرين الذين قدموا مشروعا حضاريا للأمة الإسلامية أراد من خلاله طرح بديل فكري لتحقيق النهضة، فانتقد مشاريع إحياء العالم الحضاري الإسلامي من خلال الاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى، ونحت نظريته المعروفة بالعوالم الثلاث وهي الجمع بين عالم الأفكار و عالم الأشخاص و عالم الأشياء كنظام فكري متوازن يؤسس لحداثة إسلامية معاصرة.

كلمات مفتاحية: مالك بن نبي، عالم الأفكار، عالم الأشياء، عالم الأشخاص، النهضة الحضارية.

Abstract:

Islamic thought in the last century has lived through a lot of crises and problems that have resulted in the fall and collapse of civilization and The Muslim has entered a state of disarray between a faith and divine law and a physical therefore Different intellectual currents emerged to provide a solution to this crisis, and Malik Ben

Nabi is one of the most prominent thinkers who presented an urban project to the Islamic Ummah and an intellectual alternative He criticized projects to revive the Muslim civilizational world by using lethal ideas from another civilization and His theory, known as the Three Worlds, is to combine the world of ideas, the world of people, and the world of things as a renaissance alternative to modern Islamic modernity.

Keywords: Malik ibn nabi ; world of ideas;world of things; the world of people; rebuilding civilization**.**

[1] **المؤلف المرسل**: عطار إكرام، ikram-attar@univ-tlemcen.dz

1. مقدمة:

في ظل الأزمات و المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي دخل المسلم في حالة من الفوضى بين عقيدة وشريعة سماوية، ومجتمع مادي، فظهر على إثرها تيارات فكرية مختلفة التوجهات لتقديم حل لهذه الأزمة، حيث أن كل رأى الحل من وجهة نظره فكان منهم الحداثيين معتمدين على الفكر الغربي و أفكارهم القاتلة، و الماضويين المتمسكين بالأفكار الميتة من المجتمع الإسلامي، وبين هذا و ذاك ظهر الكثير من المفكرين الإسلاميين يحملون شعار الإصلاح من خلال الفكرة الإسلامية الخالصة ومنهم مالك بن نبي الذي قدم مشروعا حضاريا للأمة الإسلامية أراد من خلاله طرح بديل فكري لتحقيق النهضة فانتقد مشاريع إحياء العالم الحضاري الإسلامي من خلال الاستعانة بأفكار قاتلة مقتبسة من حضارة أخرى، واتبع نهج الإسلام المتمثل في الوسطية بالاستفادة من الأفكار الغربية بعد تقييمها و نقدها والتمسك بالهوية الإسلامية، ونحت نظريته المعروفة بالعوالم الثلاث وهي الجمع بين عالم الأفكار و عالم الأشخاص و عالم الأشياء كنظام فكري متوازن يؤسس لحداثة إسلامية معاصرة، وسنحاول في هذه الورقة البحثية من خلال الاستعانة بالمنهج التحليلي الوصفي دراسة هذه العوالم الثلاث و

سبل الاستفادة منها من أجل تحقيق النهضة الإسلامية ومنه فالإشكالية المطروحة هي: كيف يمكن الاستفادة من نظرية العوالم الثلاث كبديل نهضوي؟

2. مالك بن نبي في سطور:

هو مالك بن نبي ابن الحاج عمر ابن الخضر بن مصطفى يعتبر أحد رواد وأعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين " 20 " ولد في الفاتح من جانفي عام 1905 م بمدينة قسنطينة، نشأ في أسرة فقيرة في مجتمع جزائري محافظ، عندما بلغ ابن النبي سن السادسة من عمره دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية في تبسة وتفوق على أقرانه وانتقل إلى قسنطينة لمواصلة علمه بعد حصوله على الشهادة الابتدائية، فحرص أبوه على تلقينه الثقافة الإسلامية لدى الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الجامع الكبير إلى جانب دراسة الثقافة الغربية على يد"مارتن أنداك" واطلاع مالك على هاتين الثقافتين جعلت منه يعيش عصره ويتمسك بدينه، ثائر على التقاليد التي ورثها المسلم من عصور الانحطاط، وأحب مالك بن نبي مشاهدة السينما منذ طفولته فكان مولعا بالشريط الوثائقي الأمريكي "أسرار نيويورك" الذي كان يعرض في قسنطينة أثناء الحرب العالمية الأولى ومن هنا تركت فيه تلك الأشرطة السينمائية انبهارا وألما في نفس الوقت فانبهر بما وصل إليه الغرب من حضارة وتمدن وتطور، ألما لما آل إليه العالم الإسلامي من تخلف وتقهقر هذا مما أثر فيه للبحث عن الأسباب والدوافع العميقة لهذا التقدم الغربي فاستغرب مالك من المسلم الذي يستهلك المنتجات الغربية دون محاولة التصدير للمنتوجات، فيشاهد التلفزيون ويركب السيارة والطائرة دون أن يسأل كيف صنعت فشبهه بالطفل الصغير الذي ينبهر باللعبة. (العويسي، 2012، صفحة 51) تخرج مالك بن نبي سنة 1925 م وسافر بعدها إلى فرنسا فأغلق الاستعمار الفرنسي أبواب العمل في وجهه فاكتشف أن أغلب الأوروبيون يحملون أفكار مسبقة عن المسلم الجزائري باعتباره متعصب جاهل منغلق حقير ومتخلف وغيرها من الصفات الذميمة التي غرستها الدعاية الفرنسية الاستعمارية في الأذهان

فعاد إلى بلده وعمل في محكمة أفلو في مارس1927 م واحتك في هذه الفترة بالفئات البسيطة من الشعب وبدأ عقله يتفتح على حالة بلاده ثم انغمس في الحياة الفكرية وتزوج فرنسية واختار الإقامة في فرنسا وشرع يؤلف في قضايا العالم الإسلامي كله فكان له سنة 1946 م كتاب الظاهرة القرآنية والإشكال الذي أراد طرحه فيه هو عدم قدرة المثقف اليوم على إدراك إعجاز القرآن سواء بوسائل التذوق العلمي أو إدراكه عن طريق التذوق الفطري، كما كان عرب الجاهلية يستطيعون تذوق المعاني والبيان فيه، ومن هذا فلابد من إعادة النظر في قضية الإعجاز في نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم اليوم مع ضرورات التي يواجهها في مجال العقيدة والروح (بن نبي، 1987، صفحة 18) ثم شروط النهضة1948م وهو من المؤلفات التي اشتهر بها مالك بن نبي و قد عرض فيه عناصر النهضة الأساسية وما يتعلق بها عبر التاريخ وما يجب أن تكون عليه في المستقبل فاستعرض في أول الكتاب حركات الإصلاح في العالم الإسلامي والانحراف المنهجي الذي أصابها حسبه، ثم تكلم فيه عن مركب الحضارة المتمثل في الفكرة الدينية، والمراحل التي تمر بها الحضارات من نقطة نشأتها إلى سقوطها و طرح فيه كذلك مفهوم القابلية للاستعمار ثم مؤلفاته وانتقل إلى القاهرة بعد إعلان الثورة المسلحة بالجزائر 1954 م وهنا حضي بالاحترام فكتب "فكرة الإفريقية الآسيوية 1956 م"ويعتبر هذا الكتاب تحليل و تعقيب لمؤتمر باندونغ الذي عقد سنة 1955م، ويطرح فيه ابن نبي فكرة السلام و التعايش العالمي بين الشعوب سواء تلك التي تعيش في أوروبا وأمريكا أو الشعوب المستعمرَة التي تكافح من أجل استقلالها، وبعد الاستقلال الجزائري عاد إلى وطنه ليواصل مهنته الحضارية بعد أن عمل مدير للتعليم العالي واستقال سنة 1967 م وتفرغ للكتابة حيث بدأ في هذه المرحلة بكتابة مذكراته بعنوان شامل"مذكرات شاهد القرن" يروي في هذا الكتاب قصة حياته من 1905 إلى 1939 و كل الظروف السائدة في تلك الفترة في الجزائر التي صاحبت الوجود الاستعماري و المراحل التي مر بها الشعب الجزائري وفترة النهضة والإصلاح التي كانت تقودها جمعية العلماء المسلمين، كما عاش مالك بن نبي في فرنسا و عايش المهاجرين هناك و تفاصيل

حياتهم ونقل لنا النشاطات و الحركات التحررية التي كان يقودها المهاجرين. للبحث في أسباب الهيمنة الأوروبية ونتائجها السلبية وسياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر وأثارها المختلفة وما خلفته من دمار في شتى المجالات بالجزائر . توفي مالك بن نبي في يوم 31 أكتوبر 1973 م.

و كل مؤلفات مالك بن نبي تصب في موضوع واحد و هو مشكلات الحضارة فجميعها أراد بها مالك بن نبي حل مشكلة المسلمين الحضارية على مستوى كل المجالات والأزمات و الاضطرابات التي يعاني منها إنسان ما بعد الموحدين حسب تعبيره، فقضى كل حياته يفكر في مستقبل المسلمين في العالم ومكانتهم و كانت غيرته على الدين الإسلامي هي الدافع الأول له في الكتابة.

وعرف مالك بن نبي بالتأصيل المنهجي في كتبه فهو لم يكن كاتبا عاديا إنما خرج عن المألوف ووظف مناهج عديدة منها الغربية و العربية، فنجد حضور المنهج المقارن في كتاباته الذي استعمله في معرض مقارنته بين الثقافتين الإسلامية و الغربية، و نجد أيضا المنهج النقدي حاضرا بقوة في كتبه حيث أنه انتقد التقليد الشائع في المجتمع للغرب و الفكر الحداثي و اللافعالية و الشلل الأخلاقي و الكثير من الظواهر الاجتماعية، ناهيك عن منهج التحليل النفسي و الاجتماعي والتاريخي هذا بالنسبة للمناهج في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي كانت حاضرة عند بن نبي أما في ما يخص أدوات العلوم التجريبية و التطبيقية فنجده يعتمد عليها في تحليله الدقيق للمعطيات و موضوعيته بحكم تخصصه الأكاديمي التطبيقي، ومن المميزات المنهجية عند مالك بن نبي مخزون المصطلحات الجديدة التي أضافها و أصبحت مرجعا للعديد من الباحثين من ذلك مثلا مصطلح القابلية للاستعمار الذي أحدث صخبا و ضجة كبيرة في ذلك الوقت حيث وضع به مالك بن نبي يده على موطن الداء و مصطلحي الأفكار القاتلة و الميتة اللذين شخص بهما مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي و غيرها الكثير من المفردات الجديدة التي أضافها وساهمت في تقريب أفكاره، وكل هذه الإضافات المنهجية و غيرها

تـدل علـى قـوة الرجـل الفكريـة و تمكنـه المنهجـي مـن اسـتقراء القضـايا و تحليلهـا والتحديـد العميـق للمشاكل التي تواجه العالم الإسلامي.

لقـد تـرك لنـا مالـك بـن نـبي إرثـا عظيمـا شـبيها بالمعـدن النفـيس لا يزيـدها مـرور الـزمن إلا نفاسـة في قيمتهـا ولا تـأثر فيهـا السـنين ولا النسـيان ولا التجاهـل فهـي مثـل قـاع البحـر كلمـا خـاض الإنسـان في أعماقـه تكشـفت لـه ثرواتـه وتبـدت لـه عجائبـه. (لونيسـي، 2000، الصـفحات 13-25)

3. المسلم بين الأفكار القاتلة و الميتة

يـرى مالـك بـن نـبي أن العـالم الإسـلامي يعـيش اليـوم بـين قطبـين متجـاذبين يسـلك كلاهمـا طـريقين مختلفـين لبنـاء النهضـة الحضـارية الإسـلامية فيحـاول الأول النهضـة بالأمـة الإسـلامية مـن خـلال التشـبث بالأفكـار الميتـة الموروثـة مـن الماضـي، و يصـر الثـاني علـى اسـتعارة أفكـار قاتلـة مـن ثقافـات مختلفـة و توطينهـا في المجتمـع وأدى هـذا الاخـتلاف إلى حالـة مـن الفوضـى و التشـتت في الأمـة الإسـلامية يقـول بـن نـبي:" إن مـا نعانيـه مـن اخـتلاط وفوضـى في الميـادين الفكريـة والخلقيـة أوفي ميـادين السياسـة، إنّمـا هـو نتيجـة ذلـك الخلـط مـن الأفكـار الميتـة، تلـك البقايـا غـير المصـفاة، ومـن الأفكـار المسـتعارة الـتي يتعـاظم خطرهـا كلمـا انفصـلت عـن إطارهـا التـاريخي والعقلـي في أوروبا". (بن نبي، 2002، صفحة 81)

1.3 الأفكار القاتلة:

انتقـد مالـك بـن نـبي بشـدة اسـتعارة الأفكـار مـن الحضـارة الغربيـة و التشـبث بهـا و إقحامهـا في المجتمـع الإسـلامي فهـي أفكـار فقـدت هويتهـا وقيمتهـا الثقـافيتين بعـدما فقـدت جـذورها الـتي بقيـت في مكانهـا في عالمهـا الثقـافي الأصـلي، والسـؤال المطـروح هـو السـبب الـذي يـدفع الصـفوة المسـلمة سـواء بطريقـة إراديـة أو لاإراديـة إلى اختيـار الجانـب الميـت مـن هـذه الثقافـة، (بـن نـبي، 1971، صـفحة 109) فلـيس كـل مـا في الحضـارة الغربيـة أفكـار قاتلـة إنمـا المشـكلة في طريقـة

الاختيار حيث أن هذه الأفكار في كثير من الأحيان أثبتت فشلها حتى في موطنها الأصلي، لذا يجب على المسلم أن لا يأخذ الأفكار إلا بعد تمحيص وامتحان، ويسائل نفسه دائما: هل هذا حق أو غيره أحق منه، ولا شك إن ربى نفسه على هذه التربية لم يكن أقل شأنا من الغربي ولا أقل قدرة على الابتكار، (أمين، 1955، صفحة 117) وقد أعطانا مالك بن نبي نموذجا استفاد من أفكار الثقافة الغربية،وهي اليابان حيث أنها خرجت من حرب دمرت كل جوانب الحياة فيها،إلا أنها بدأت نهضتها وأصبحت دولة عظمى في كل المجالات من خلال المحافظة على ثقافتها وتقاليدها وماضيها،وأخذت كل ما هو صالح وفعال وحي من الثقافة الغربية. أي أن المشكل لا يكمن في طبيعة العلاقة بالثقافة الغربية بل بالطبيعة الخاصة بعلاقتنا بها، أما هذا النسخ و اللصق من الأفكار الدخيلة لن يعود على المجتمع إلا بالضرر لأنها تفتقد فعاليتها حينما تنقل للسياق الحضاري الإسلامي، كما أنها نقلت بطريق "التكديس" وليس بطريق "البناء" فالأمر أشبه بجلب النفايات الحضارية يمتصها المجتمع و النتيجة بطبيعة الحال حالة من التعفن تلتبس على العقليات السطحية في بلادنا فتعتقد أنها هي الثقافة الغربية، وهذا الالتباس ناتج عن موقفنا تجاه مشكلة الثقافة بوجه عام وبالتالي اتجاه الثقافة الغربية يشكل خاص، (بن نبي، 1971، صفحة 109) حيث أن عقدة النقص لدى البعض أدت بهم إلى الانبهار بالحداثة الغربية واقتناء أفكارها فنجد الحداثة بما فيها من تقديس للعقل ومحاربة المقدس وما تدعيه من حرية تمارسها على الدين مع خلفياتها الغربية وقيم متعالية وحصر الرؤية الكونية والحضارية للإنسان في الدنيوية، والتقدم والمدنية والدولة الوطنية، وغيرها من القضايا التي تعرضها بمضامينها وخصوصيتها الغربية دون أدنى نقد لها، وعلى النقيض يقومون بنقد و فحص و تمحيص الأفكار الإسلامية فيحكمون عليها من خلال مفعولها الحالي دون الانتباه بأن نظرتهم قاصرة تاريخيا،كما أن تلك الأفكار الغربية ستبقى دخيلة على المجتمع رغم كل محاولات التوطين و التقعيد لها يلخص مالك بن نبي هذه المشكلة فيقول:" أعتقد أن هذا الموضوع يشبه عملية

التلقيح الزراعي حيث نرى الفرع الذي يضاف إلى الشجرة، لا يأتي بثمار تشبه الشجرة التي ألحق بها، وإنما تأتي ثماره مثل ثمار الشجرة الأم. (بن نبي، 1971، الصفحات 06-111) .

فالحقيقة أن المشروع الحداثي هو مجرد إعادة للإجابة على سؤال النهضة القائم على تقليد الآخر دون مراعاة الخصوصية والتحفيز على الإبداع.

فمشكلة الحداثيين أنهم يسعون إلى بناء الحضارة بتحطيم الثقافة الذاتية الإسلامية الأصلية وبناء ثقافة تدعي أنها إسلامية قائمة على المناهج الجاهزة وهذا ما يستحيل حصوله ولن يؤدي سوى إلى مزيد من الفوضى الفكرية.

2.3 الأفكار الميتة:

إن ما يعيق المجتمع الإسلامي و نهضته ليس فقط استعارة الأفكار من الغرب دون تقييم إنما ما يقف في وجهه أيضا هو الإبقاء على الأفكار منتهية الصالحة و الميتة الأفكار التي لم تعد تفيد المسلم وتغير عليها الزمن، هذه الأفكار لم تعد منتجة في المجتمع بل العكس صارت تحول دون التفكير و إعمال العقل.

يعرف مالك بن نبي الأفكار الميتة فيقول:"هي تلك الفكرة التي بها خذلت الأصول ..فكرة انحرفت عن مثلها الأعلى ..لهذا ليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصيلة." (بن نبي، 1971، صفحة 76)

لا بد أن نفرق بين الفكرة الأساسية و تطبيقها على الواقع فبعض الأفكار بعض اندماجها في المجتمع، و مع مرور الزمن عليها تفقد فعاليتها و تصبح ميتة، هذه الأفكار لا بد من التخلي عنها مهما كانت متجذرة في المجتمع فهي ليست أكثر من كونها صورة مشوهة عن الفكرة الأم، يجب نفض الغبار عنها و إظهار وجهها الحقيقي و في هذا السياق قال محمد عمارة :" فالعودة إلى المنابع الجوهرية و النقية في هذا الثابت و تجلية وجهه الحقيقي لتعود له قدرات الفعل و التأثير." (عمارة، 1990، صفحة 23)

هذه الأفكار الميتة أشد خطرا على المجتمع من الأفكار القاتلة لأنها لم تولد في باريس أو في لندن، ومدرجات السوربون أو أكسفورد إنما نشأت في فاس و الجزائر و في تونس و القاهرة،

لقد ولدت تحت مآذن القرويين ومسجد الزيتونة والأزهر طوال عصور ما بعد التحضر، وطالما أنه لم يتم القضاء عليها بعد بنظام منهجي فهي تمثل الفيروس الوراثي الذي ينسف الكيان الإسلامي من أعماقه بتخدير حوافزه الدفاعية. (عمارة، 1990، صفحة 108)

و قد ألحقت هذه الأفكار بالإسلام و العقيدة و صدق الناس أنها جزء ثابت منها لا يمكن تغيير لأنها تغلغلت في المجتمع و مصدرها عالمه الثقافي المشوه، فأصبحت هذه الأفكار أصلية تمسك بها المسلم عن وعي أو لا وعي فحدت من الإبداع و التجديد، بل حتى أن حملة هذه الأفكار يحاربون أي محاولة لتجاوزها و نقدها.

وهذه الأفكار هي من مخلفات إنسان ما بعد الموحدين فمالك بن نبي يرى أن آخر كيان إسلامي حافظ ولو قليلا على مكونات الحضارة الإسلامية كان الدولة الموحدية وبعد سقوطها تغير الإنسان المسلم وفقد مسوغات و جوده و خصوصيته فأصبح مصطلح إنسان ما بعد الموحدين دليل على مظاهر الضعف و التخلف التي أصابت العالم الإسلامي.

و هكذا أصبح العالم الإسلامي بين تجديد مفرط أو تشبث حارب الجديد، عاش المسلم بينهما حتى دخل في حالة من الازدواجية فلم يستطع الجمع و التوفيق بين دينه و دنياه في حين أن الله تعالى قال في كتابه العزيز:" چ **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**چ(الأنعام، 162) فالمسلم سواء في أمور دينه أو دنياه مأمور أن يتبع ما جاء به الإسلام هنا وقع بين البينين بين التيارين السابقين الذكر، لكن لما كان الإسلام دين الوسطية والاعتدال فلا إفراط و لا تفريط فيه، طرح لنا مالك بن نبي البديل الفكري للنهضة بالأمة الإسلامية بديل لا يفرط في ثوابت الإسلام و لا ينسخ أفكار الغرب دون دراستها و نقدها.

4. دور العوالم الثلاث في النهضة الفكرية

1.4 عالم الأفكار:

مثل بن نبي لعالم الأفكار من الأدب العربي و قصة حي بن يقظان حيث يقول: أخذت مغامراته اتجاها مخالفا فهي لم تبدأ في الواقع إلا بعد نفوق الغزال، أم الطفل الأعزل بالتبني

وأخيرا هرمت الغزالة وضعفت، فاقتادها إلى حيث المرعى المغذي قطف لها لا منه وأطعمها من كل أنواع الثمار، ولكن ضعفها وهزلها كانا في تزايد ثم حضرها الموت، فتوقفت كل حركاتها و تعطلت وظائفها وعندما رأها الصبي في هذه الحالة، غمره شعور قوي بالأسى والألم حتى أوشكت روحه أن تنفصل من جسده، فأخذ يفحص أذنيها و عينيها فلم يلحظ عليها أي تلف ظاهر، وفحص أيضا جميع أعضائها فلم يجد عيبا، لقد كان يحرص على اكتشاف مكان الداء لكي يخلصها منه حتى تعود إلى حالتها التي كانت عليها من قبلن ولكن لم يوفق إلى شيء من ذلك وكان عاجزا عن أن يقدم لها العون. وابتداء من هذا الموقف يستطيع ابن يقظان أن يكتشف رويدا رويدا فكرة الروح تتابع حلقات القصة في صورة تأمل ودراسة تتيح له أن يتوصل إلى فكرة الخلاق وإلى إدراك النظام الرباني ورؤية باطنية لله والاهتداء إلى فكرة صفات الله، (بن نبي، 1971، صفحة 14) نتوصل من خلال هذه القصة إلى الاتجاه الذي اختاره ابن يقظان في عزلته فهو لم تحركه غريزة البقاء و إنما حركته غريزة البحث عن الحقيقة و التفكير و البحث، وهذا يكون الانطلاق في بناء عالم الأشخاص وابن يقظان نموذج للإنسان الباحث عن الحقيقة المشتغل بفكره الذي تكونت له الثقافة الروحية الأخلاقية، الذي ينطلق منها للبناء الاجتماعي.

2.4 عالم الأشخاص

عندما تتوفر الفكرة الحية المقدسة التي تحمل الروح الإيمانية فإن جماعة الأشخاص يؤمنون بها و يلتفون حولها، وقد يحمل هذه الفكرة شخصية واحدة فقط في بدايتها حتى تصبح عقيدة في المجتمع كالرسول صلى الله عليه و سلم، الذي استطاع إبلاغ الفكرة الإسلامية للعالم أجمع لما كانت هذه الفكرة صحيحة مقدسة ثابتة ثبتت على مر الأزمة، لكن عالم الأشخاص متغير لا يجب التعلق به على حساب الفكرة قال تعالى: "چ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ**چ (آل عمران 144) هذا عن الرسول صلى الله عليه و سلم حذرنا الله تعالى من التعلق به على حساب الإسلام فكيف بالأشخاص الآخرين إذا و

التعلق بهم فعندما يتعلق الناس بالأشخاص أكثر من تعلقهم بالمبدأ أو الفكرة تتحول الفكرة إلى وثن (بن نبي، 1986، صفحة 28) ويرون أن إنقاذهم من الحالة التي هم عليها ترتبط بالبطل القادم الذي ينتظرونه دون أن يقوموا بجهد يذكر، والخلاص لا يصبح بتجمع أناس على مبدأ يدافعون عنه، ويتفانون فيه، ويتقنون فن التعاون بل بالرجل الذي يجمعهم ويوحدهم، وقد يطول انتظارهم وهم يمنون أنفسهم بالأماني، وهكذا نسمع الخطباء لا يفتأون يذكرون (أين صلاح الدين) أو (قم يا صلاح الدين)، فهم يريدون (صلاحاً) آخر ينقذهم، ولاشك إن (إجلال رجل القدر) مثل إجلال (الشيء الوحيد) مرض منتشر في أرجاء العالم الإسلامي، وهو أحياناً السبب في إفلاس فادح لسياسات عديدة (بن نبي، 1971، صفحة 104) وهذا يجعلنا بدل أن نبحث ونتدبر في أسباب فشلنا و تخلفنا ننتظر رجل القدر المخلص ونجعله هو سبب ما نحن فيه لأنه لم يأت ونلقي عليه كل ضعفنا وفشلنا في حين أنه وجب علينا التدبر في الأحداث والأخذ بالأسباب والمسببات كما حثنا القرآن الكريم على ذلك.

وقد تتجسد الأفكار بأشخاص ليسوا أهلا لحملها فتحسب كل أخطائهم وانحرافاتهم على المجتمع الإسلامي أو على الإسلام، وقد تتجسد بأشخاص يحملونها ولكن إذا ماتوا انتهت هذه الأفكار بموتهم بسبب تعلق الناس بهم، ويركز مالك بن نبي في أكثر كتبه على هذا المرض، ويطالب المسلمين، والشباب بشكل خاص، بأن يتحول للارتباط بالمنهج لا بشخص معين، لأن هذا الشخص مثل الرأس الذي يقود عربات القطار، فإذا انحرف انحرف القطار كله،

إن تقدير الشخص الذي يتبنى أفكار الإسلام و يسعى للنهضة بالأمة واجب مطلوب لكنه يبقى شخص قد يخطئ و يصيب لا يجب التعلق به لحد المغالاة بل احترامه يكون تبعا للفكرة التي يحملها و ليس العكس.

3.4 عالم الأشياء

مثل مالك بن نبي لعالم الأشياء برواية من الأدب الأوروبي "روبنسون كروزويه" وصاحب هذه القصة دنييل دي فواي يطلق بطله من نقطة الصفر بالنسبة للأشياء حيث يقول بعد أن غرقت سفينته وتركته وحيدا على جزيرة نائية:" بدأت أنظم وقت عملي ووقت راحتي ونزهتي

وطبقا لهذه القاعدة التي واظبت على مراعاتها كنت أخرج في كل صباح إن لم تمطر ومعي بندقيتي لمدة ساعة أو ساعتين، ثم أعمل بعد ذلك حتى حوالي الساعة الحادية عشرة، ثم آكل مما أجده في حوزتي، ثم أنام من الساعة الثانية عشرة حتى الساعية الثانية بعد الظهر بسبب الحر الشديد، وفي المساء أستأنف العمل، ولقد أنفقت وقتي في ذلك اليوم وفي اليوم التالي لأصنع لنفسي منضدة، فلم أكن سوى عامل بائس، ولكن سرعان ما خلق مني الوقت والحاجة عاملا ماهرا."

هذه شريحة من وقت روبنسون كروزويه في عزلته على الجزيرة فترى أنه أنفق وقته في أعمال حسية أكل ونوم وعمل. (بن نبي، 1971، صفحة 12) نلاحظ من خلال هذه القصة كيف اتجهت شخصية البطل في عزلته إلى عالم المادة وغريزة البقاء وهذا الاتجاه جعل حياته في هذه العزلة تتجه إلى عالم الأشياء بصفة كلية ولم يفكر بأشياء أخرى، وتعكس هذه القصة توجه التفكير عند الإنسان الغربي المتعلق بعالم الأشياء والمادة والجانب التقني والإنتاجي، وهنا ونرى تباين كبير في الاهتمامات بين القصة الأولى في عالم الأفكار والقصة الثانية التي تدور في عالم الأشياء حيث أن الإنسان بالفطرة يمتلك كلا الجانبية ويستطيع النجاح فيهما معا، وهذا ما نجده في الدين الإسلامي الذي جمع في الإنسان الروح والمادة وكلاهما وقوده في الحياة.

أما الوقوع في الشيئية التي تصيب البلدان النامية فيفرض الشيء طغيانه بسبب ندرته و يولد مركب الحرمان و الميل إلى التكديس، أما في البلد المتقدم فيسيطر الشيء بوفرته الكبيرة ويخلق نوعا من التشبع، (بن نبي، 1971، صفحة 66)

إن سيطرة عالم الأشياء على المجتمع يقصي الأفكار منه حتى يتحول إلى المادية المفرطة ومنه يصبح الأشخاص عبيدا للشيء ويفقدون مسوغات و جودهم في الحياة التي ستصبح مع الوقت بلا معنى فتختل على إثرها الحياة النفسية ومنه الاجتماعية و الفكرية والاقتصادية...

لـذلك فـإن عـالم الأشـياء لا يجـب أن يتقـدم علـى عـالم الأفكـار، بـل إن الأشـياء تكـون وسيلة تحقيق الفعالية للفكرة.

5. **رسم تخطيطي لتحيق الانسجام بين العوالم الثلاث**

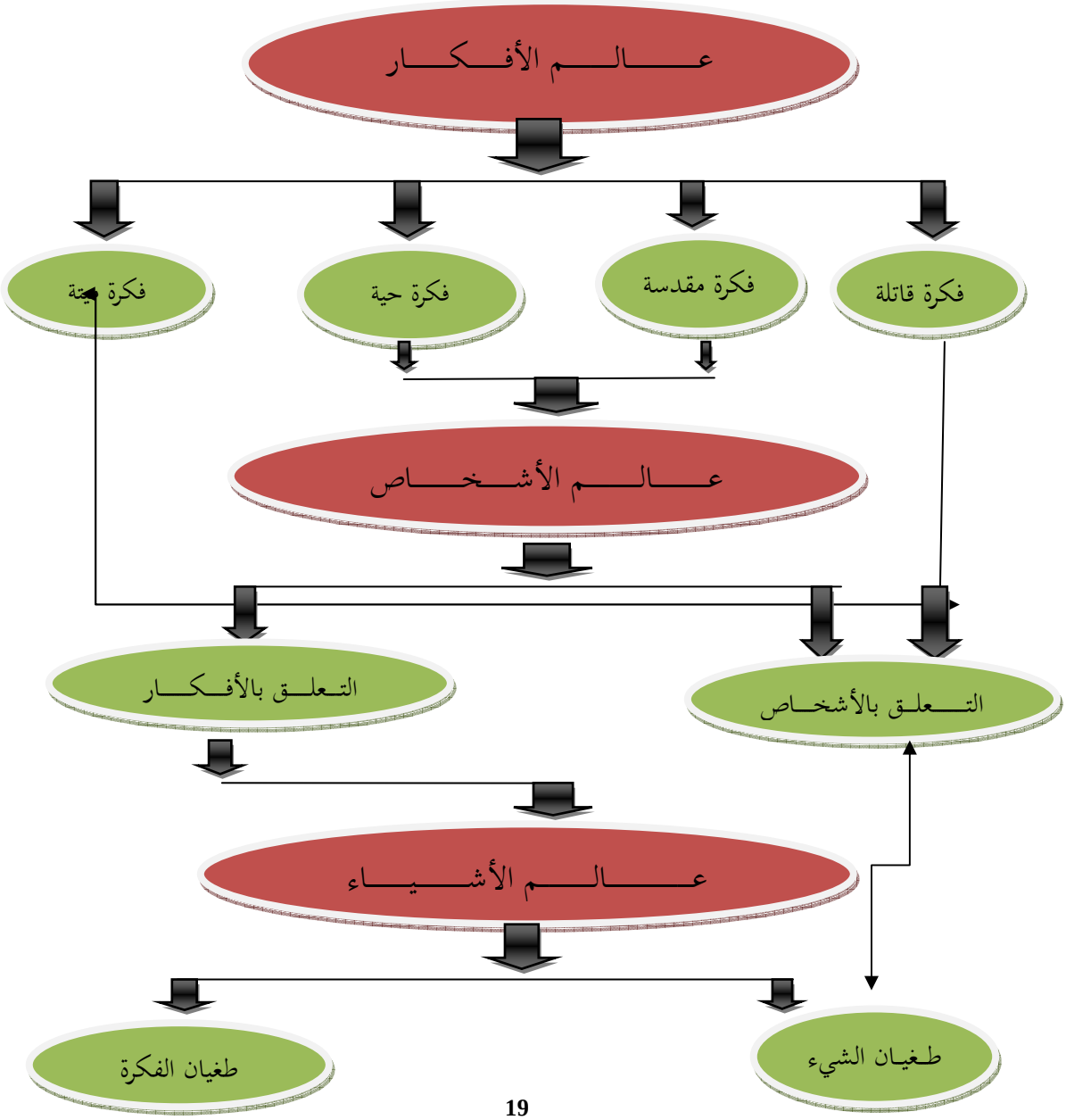

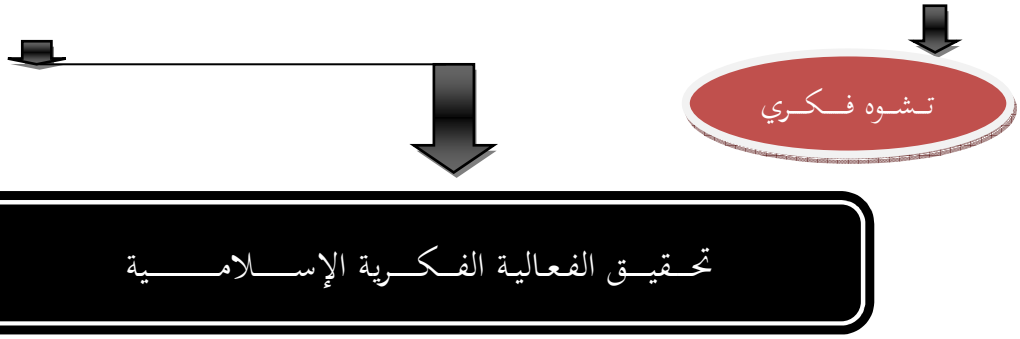

4. خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز عن طريقة تحقيق نهضة إسلامية من خلال تحقيق الانسجام بين العوالم الثلاث و ترتيبها الفكري و مرافقتها للإنسان الذي يتطلع لنهضة إسلامية نلاحظ ما يلي:

-إذا حدث خلل في احد من العوالم الثلاث فإن ذلك يؤدي إلى اختلال التوازن سواء كان على مستوى عالم الأفكار من خلال الاعتماد على الأفكار القاتلة و الميتة أو إذا طغى أحد على الآخر من عالم الأشخاص و الأشياء.

-وقع الفكر الغربي في تقديس الشيء بعد أن فقدت أفكاره سيطرتها على الأشياء حتى غرق في المادية التي انتقلت إلى العالم الإسلامي كأفكار قاتلة.

- تحقيق النهضة الإسلامية هو فكرة مقدسة تحمل الدفعة الإيمانية مع أشخاص يؤمنون بها دون مقابل و تسخير الأشياء لخدمة هذه الفكرة و نشرها.

- من أجل تحقيق النهضة الإسلامية لا بد أولا الانطلاق من الفكرة القرآنية الإسلامية.

5. قائمة المراجع:

1/ أمين، أحمد ، 1955، الشرق والغرب، مكتبة الإسكندرية، مصر.

2/بن نبي، مالك،1986، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق.

3/بن نبي، مالك، 1987، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

4/بن نبي، مالك، 1971، مشكلة الأفكار، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، منشورات ANEP.

5/بن نبي، مالك، 2002، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، دمشق.

6/عمارة، محمد،1990، أزمة الفكر الإسلامي، دار الشرق الأوسط للنشر

7/العويسي، عبد الله بن محمد، 2012، مالك بن نبي حياته و فكره، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت.

8/لونيسي، رابح، 2000، مالك بن نبي المفكر العقلاني، دار المعرفة، الجزائر .